خُرَافَاتٌ إِسْلَامِيَّةْ

حين يفضحُ المسلمون دينهم

بقلم: مالك بارودي



منشورات مالك بارودي - 2014

خرافات إسلاميّة

حين يفضحُ المسلمون دينهم

بقلم: مالك بارودي

منشورات مالك بارودي – 2014

جهل الصّحابة لمعاني القرآن

في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (باب "النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه") نقرأ ما يلي: "أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة، وأبو عمر الزاهد، وابن دريد. ومن أشهرها كتاب العزيزي، فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره، هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري.

ومن أحسنها المفردات للراغب. ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين.

قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: (قال أهل المعاني) فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن، كالزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري. انتهى.

وينبغي الاعتناء به فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه.

وأخرج مثله عن عمر، وابن عمر، وابن مسعود موقوفا.

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعا: من قرأ القرآن فأعربه، كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات.

المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن؛ لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها.

وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن، وعدم الخوض بالظن فهذه الصحابة - وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم - توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها، فلم يقولوا فيها شيئا.

فأخرج أبو عبيد في الفضائل، عن إبراهيم التيمي: أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله: وفاكهة وأبا [عبس: 31]. فقال أي سماء تظلني، أو أي أرض تقلني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وأخرج عن أنس: أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر وفاكهة وأبّا. فقال هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر.

وأخرج من طريق مجاهد، عن ابن عباس، قال: كنت لا أدري ما (فاطر السماوات)، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها.

وأخرج ابن جرير، عن سعيد بن جبير: أنه سئل عن قوله: وحنانا من لدنا [مريم: 13]؟ فقال: سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا.

وأخرج من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: لا والله، ما أدري ما حنانا.

وأخرج الفريابي: حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كل القرآن أعلمه إلا أربعا (غسلين) [الحاقة: 36] (وحنانا) [مريم: 13] و(أواه) [التوبة: 114] (والرقيم) [الكهف: 9].

وأخرج ابن أبي حاتم عن، قتادة قال: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق [الأعراف: 89] حتى سمعت قول بنت ذي يزن: (تعال أفاتحك). تقول: تعال أخاصمك.

وأخرج من طريق مجاهد، عن ابن عباس، قال: ما أدري ما الغسلين! ولكني أظنه الزقوم."

من يقرأ ما تقدّم لا يمكن أن يفوته التناقض في كلام السيوطي، فمن ناحية هو يستشهد بمن يقول بوجوب معرفة معاني ألفاظ القرآن ومن ناحية أخرى يورد بعض الأحاديث عن الصحابة في عدم فهمهم لبعض عبارات كتابهم، رغم أنّهم أقرب لزمن "الجاهلية" (التي يزعمون أن القرآن أتى كمعجزة ليثبت عجز شعرائها على الإتيان بمثله) من جلال الدين السيوطي ومنّا نحن وعاصروا محمّد بن آمنة وكانوا معه... فإذا كان هؤلاء الذين عاشوا زمنا في "الجاهلية" وأدركهم الإسلام فدخلوا فيه وكانوا مع محمّد لا يعرفون معاني ما يسمّى "غريب القرآن" ولم يسألوا عنه محمّدا ولم يتبيّنوا منه معناه، فكيف سيعرف المسلم، في زمن السيوطي أو بعده، معنى تلك الألفاظ؟ وإذا لم يعرف معناها، فعن أيّة "معرفة" يتحدّث السيوطي؟ ألا يصبح كلامه مجرّد لغو وتكرار ببغائي؟ ألا تصبح قراءة كل المسلمين للقرآن، بما فيهم الصحابة والسيوطي نفسه، بلا ثواب؟ فهو يقول ذلك صراحة: "لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها"... والإعتراف حاصل في ما يلي تلك الجملة من أحاديث الصحابة.

يقول القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (قوله تعالى فاستمسك بالذي أوحي إليك): "قوله تعالى فاستمسك بالذي أوحي إليك يريد

القرآن، وإن كذب به من كذب، فإنك على صراط مستقيم يوصلك إلى الله ورضاه وثوابه. وإنه لذكر لك ولقومك يعني القرآن شرف لك ولقومك من قريش، إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم، نظيره : لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أي : شرفكم. فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم كل من آمن بذلك فصاروا عيالا عليهم ; لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عني به من الأمر، والنهي وجميع ما فيه من الأنباء، فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات ولذلك سمي عربيا."

إذن، حسب القرطبي، القرآن كان بلهجة قريش. وبالتالي، من المفروض أن قريش كانت تعرف معنى تلك الكلمات الغريبة، لأنها من لهجتها. فكيف نفسّر أن الصحابة، وأعداد القرشيين منهم كثيرة، لم يكونوا يعرفون معانيها؟

ولنقل أن القرآن فيه كلمات دخيلة من لهجات قبائل أخرى (جرهم، كنانة، طيء، هذيل، إلخ) وأن لهجته الرئيسية هي لهجة قريش. ألم تكن للصحابة ألسنة ليسألوا محمّدا عمّا عجزوا عن فهمه من كلام "كتاب الله"؟

ثمّ، ألا يبيّن كلّ هذا أنّ القرآن أصبح (بفعل مرور الزمن وموت محمّد والإبتعاد عن زمن تعدّد اللهجات في شبه جزيرة العرب وإندثار هذه اللهجات بعد سيطرة لهجة قريش وتطوّرها وإدخال التنقيط والتشكيل في مرحلة لاحقة)، مجرّد لغو فارغ لا معنى له؟ هذا إذا فرضنا أنّه كانت لهذه الكلمات المجهولة معان عند "نزوله"، حسب الخرافة الإسلامية.

وكيف يقبل المسلم أن يقرأ كلاما لا يفهمه؟ بل حتى أجداده وصحابة رسوله لم يكونوا يفهمونه؟

هذا غيض من فيض أسئلة كثيرة تستوجب التوقّف والتفكير فيها وفي تداعياتها بمنطق وعقل، بعيدا عن ثقافة الحشو ولغة الببغاوات. فهل ستستفيق من سباتك يا عزيزي المسلم وتستعيد عقلك الذي صادره الإسلام وتسترجع إنسانيتك وتبدأ في التفكير؟

قراءات متعدّدة أم قرائين مختلفة

يقول كاتب القرآن: "كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ" (آل عمران، 146)

ورد في "جامع البيان في تأويل القرآن" المعروف بتفسير الطّبري، في شرح هذه الآية: "القول في تأويل قوله : «قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ» قال أبو جعفر: اختلفت القرأة في قراءة قوله: «قتل معه ربّيّون». فقرأ ذلك جماعة من قرأة الحجاز والبصرة: (قُتِلَ)، بضم القاف. وقرأه جماعة أخر بفتح «القاف» و«بالألف». وهي قراءة جماعة من قرأة الحجاز والكوفة. قال أبو جعفر: فأما من قرأ (قَاتَلَ)، فإنه اختار ذلك، لأنه قال: لو قُتلوا لم يكن لقوله: «فما وهنوا»، وجه معروف. لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يَهِنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا. وأما الذين قرأوا ذلك: (قُتِلَ)، فإنهم قالوا: إنما عنى بالقتل النبيَّ وبعضَ من معه من الربيين دون جميعهم، وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يُقتل. قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأ بضم «القاف»: «قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ»، لأن الله عز وجل إنما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ» الذين انهزموا يوم أحُد، وتركوا القتال، أو سمعوا الصّائح يصيح: «إن محمدًا قد قتل». فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال فقال: أفائن مات محمد أو قتل، أيها المؤمنون، ارتددتم عن دينكم

وانقلبتم على أعقابكم؟ ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم، وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداءَ دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم ولم تهنوا ولم تضعفوا، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صَبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم؟ وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأوِّلين."

وورد في كتاب "الكافي في القراءات السّبع" لـ"أبي عبد الله محمّد بن شريح الرّعيني الأندلسي" (دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص 95): "قرأ إبن كثير «وكائن» بألف وهمزة مكسورة بعدها، ووقف عليه أبو عمرو «وكأيّ» بغير نون، ووقف الباقون بالنّون إتباعا للمصحف، ولا ينبغي أن يتعمّد الوقف عليه لأنّه غير تام ولا كاف. قرأ الحرميان أبو عمرو «من نبي قُتِلَ» بضمّ القاف وكسر التّاء من غير ألف، وقرأه الباقون بفتح القاف والتّاء، وألّف بينهما."

وفي كتاب "المنح الإلهيّة في جمع القراءات السّبع من طريق الشّاطبيّة" لـ"خالد بن محمّد الحافظ العلمي" (دار الزمان للنشر، المدينة المنورة، 1998، ص 391) نقرأ: "(وكائن): قرأ إبن كثير بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة وحينئذ يكون المدّ من قبيل المتّصل فيُمدّ حسب مذهبه. (وكأيّن): وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة بدلا من الألف وبعدها ياء مكسورة مشدودة." وأيضا: "(نبئ): قرأ نافع بالهمز. (نبيّ): والباقون بالتّشديد." ونجد بعدها ما يلي: "(قُتِلَ): قرأ نافع وإبن كثير

وأبو عمرو بضمّ القاف وكسر التّاء. (قَاتَلَ): والباقون بفتح القاف والتّاء وألِف بينهما."

وفي كتاب "القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب" لـ"عبد الفتاح القاضي" (دار الكتاب العربي، بيروت، 1981، ص 38-39) نقرأ: "وقرأ الحسن «رُبِّيون» بضمّ الرّاء وجمع رُبِّيّ نسبة إلى الرِّبة بكسر الرّاء وضمّها وهي جماعة، أو نسبة إلى الرّبّ مع تغيير النّسب. وقرأ كذلك «وهِنُوا» بكسر الهاء وهو لغة في وهن والمضارع يوهن مثل وجل يوجل. وقرأ الشنبوذي «إلى ما أصابهم» على أنّ إلى بمعنى اللاّم. وقرأ الحسن «وما كان قولُهم» بالرّفع على أنّه إسم كان وأنّ قالوا في تأويل مصدر خبرها. وقرأ الحسن «إذ تصعَدون» بفتح التّاء والعين من صعد بكسر العين إذا رقى. وقرأ كذلك «ولا تَلُونَ» بضمّ اللاّم وواو ساكنة واحدة بعدها. والأصل تلوون كقراءة الجماعة فاستثقلت الضّمّة على الواو لأنّها بمثابة واو فتجتمع في الكلمة ثلاث واوات فنقلت إلى اللاّم فإلتقى ساكنان وهما الواوان فحذفت الأولى للتّخلص منهما، ويحتمل – على هذه القراءة – أن يكون مضارع ولي من الولاية والتّعدّديّة يعني لتضمينه معنى الإنعطاف".

من يقرأ ما أوردناه هنا من حديث عن الآية 146 من سورة آل عمران ويفكّر ولو قليلا سيجد فيها كمّا هائلا من الإشكاليّات.

يقول المسلمون أنّ القرآن واحد وإن تعدّدت المصاحف والقراءات والرّوايات، وهنا أكثر الأدلّة وضوحا على أنّ هذا القول مجرّد كذبة يحاولون من خلالها إيهام النّاس بأنّ القرآن واحد ومحفوظ ولم يتغيّر طيلة

أربعة عشر قرنا. فالفرق واضح بين أن يكون النّبي الذي تتحدّث عنه الآية "قَاتَلَ" أو "قُتِلَ" معه أناس آخرون (بغض النظر عن تعريفهم، فكلمة "ربّيّون"، كما رأينا، مختلف في جذر إشتقاقها وفي معانيها أيضا، ممّا يدلّ على عدم فهم المفسّرين لها، وهذه مشكلة أخرى). فنحن هنا أمام فعلين (قاتَل وقتَل) منفصلين في معنييهما وإن كانا يشتركان في نفس الجذر اللّغويّ (قتَل). ومستحيل أن يكون محمّد قد أملى على كتبة الوحي الكلمتين في نفس الوقت، فهذا الأمر لامنطقي ويتعارض مع تركيبة الجملة التي لا تحتمل تجاور الفعلين إلاّ بوجود لفظ يجمع بينهما كأن نقول "قَاتَلَ وقُتِلَ" أو "قَاتَلَ فَقُتِلَ" أو "قَاتَلَ أو قُتِلَ"، في حين أنّه لا يوجد إلا أحد اللّفظين "قَاتَلَ" أو "قُتِلَ"، حسب القراءات. فهل هذا النّبيّ "قَاتَلَ" أم "قُتِلَ"؟ وإذا أضفنا إلى هذه المشكلة مسألة الإختلاف في قراءة ألفاظ أخرى من هذه الآية مثل "كأيّن" أم "كائن" أم "كأيّ" و"نبيّ" أم "نبئ" و"رُبِّيّون" أم "رِبّيّون" و"وهَنوا" أم "وهِنوا" و"ولا تَلُونَ" أم "ولا تَلوُونَ"، وبما أنّ كاتب القرآن يدّعي أنّ كتابه مكتوب في اللوح المحفوظ، فلنا أن نسأل بأيّ الألفاظ كُتبت هذه الآية؟ من المستحيل أن تكون مكتوبة بكل هذه الألفاظ المختلفة في الكتابة والنّطق والمعاني... ثمّ أنّ إختلاف الكلمات في الكتابة والنّطق يثبت أنّ حكاية "اللوح المحفوظ" ليست إلاّ خرافة محمّديّة...

فهل نحن فعلا أمام قرآن واحد متناسق وثابت في عدد حروفه وألفاظه لكن بقراءات متعدّدة أم أمام قرائين متعدّدة ومختلفة ومتضاربة؟

عزيزي المسلم، إستعمل عقلك وفكّر قليلا وستعرف الحقيقة.

أخطاء الكتبة والنّسّاخ في القرآن

في تفسير "الدّرّ المنثور" لجلال الدين السّيوطي ، بخصوص الآية 162 من سورة النّساء والتي يقول فيها كاتب القرآن: "لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا"، نجد ما يلي: "وَأخرج عبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن أبي دَاوُد فِي الْمَصَاحِف وَابْن الْمُنْذر عَن الزبير بن خَالِد قَالَ: قلت لأَبَان بن عُثْمَان بن عَفَّان: مَا شَأْنهَا كتبت «لَكِن الراسخون فِي الْعلم مِنْهُم والمؤمنون يُؤمنُونَ بِمَا أنزل إِلَيْك وَمَا أنزل من قبلك والمقيمين الصَّلَاة والمؤتون الزَّكَاة» مَا بَين يديهَا وَمَا خلفهَا رفع وَهِي نصب قَالَ: إِن الْكَاتِب لما كتب «لَكِن الراسخون» حَتَّى إِذا بلغ قَالَ: مَا أكتب قيل لَهُ: اكْتُبْ «والمقيمين الصَّلَاة» فَكتب مَا قيل لَهُ. وَأخرج أَبُو عبيد فِي فضائله وَسَعِيد بن مَنْصُور وَابْن أبي شيبَة وَابْن جرير وَابْن أبي دَاوُد وَابْن الْمُنْذر عَن عُرْوَة قَالَ: سَأَلت عَائِشَة عَن لحن الْقُرْآن «إِن الَّذين آمنُوا وَالَّذين هادوا والصائبون» (الْمَائِدَة الْآيَة 69) «والمقيمين الصَّلَاة والمؤتون الزَّكَاة» و«إِن هَذَانِ لساحران» (طه الْآيَة 63) فَقَالَت: يَا ابْن أُخْتِي هَذَا عمل الْكتاب أخطأوا فِي الْكتاب. وَأخرج ابْن أبي دَاوُد عَن سعيد بن جُبَير قَالَ: فِي الْقُرْآن أَرْبَعَة أحرف: «الصائبون»، «والمقيمين» و«فأصَّدَّق وأكن من الصَّالِحين» و«إِن هَذَانِ لساحران». وَأخرج ابْن أبي دَاوُد عَن عبد الْأَعْلَى بن عبد الله بن عَامر الْقرشِي قَالَ: لما فرغ من الْمُصحف أَتَى بِهِ

عُثْمَان فَنظر فِيهِ فَقَالَ: قد أَحْسَنْتُم وَأَجْمَلْتُمْ أرى شَيْئا من لحن ستقيمه الْعَرَب بألسنتها. قَالَ ابْن أبي دَاوُد: هَذَا عِنْدِي يَعْنِي بلغتها فِينَا وَإِلَّا فَلَو كَانَ فِيهِ لحن لَا يجوز فِي كَلَام الْعَرَب جَمِيعًا لما استجاز أَن يبْعَث إِلَى قوم يقرأونه. وَأخرج ابْن أبي دَاوُد عَن عِكْرِمَة قَالَ: لما أَتَى عُثْمَان بالمصحف رأى فِيهِ شَيْئا من لحن فَقَالَ: لَو كَانَ المملي من هُذَيْل وَالْكَاتِب من ثَقِيف لم يُوجد فِيهِ هَذَا. وَأخرج ابْن أبي دَاوُد عَن قَتَادَة أَن عُثْمَان لما رفع إِلَيْهِ الْمُصحف قَالَ: إنّ فِيهِ لحناً وستقيمه الْعَرَب بألسنتها. وَأخرج ابْن أبي دَاوُد عَن يحيى بن يعمر قَالَ: قَالَ عُثْمَان: إن فِي الْقُرْآن لحناً وستقيمه الْعَرَب بألسنتها".

وفي نفس الكتاب، في تفسير الآية 27 من سورة النّور والتي نصّها: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"، يقول: "وَأخرج الْفرْيَابِيّ وَسَعِيد بن مَنْصُور وَعبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَابْن الْأَنْبَارِي فِي الْمَصَاحِف وَالْحَاكِم وَصَححهُ وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الإيمان والضياء فِي المختارة من طرق عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله «لَا تدْخلُوا بُيُوتًا غير بُيُوتكُمْ حَتَّى تستأنسوا وتسلموا على أَهلهَا» قَالَ: أَخطَأ الْكَاتِب إِنَّمَا هِيَ حَتَّى تستأذنوا. وَأخرج سعيد بن مَنْصُور وَعبد بن حميد وَابْن جرير وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الإيمان عَن إِبْرَاهِيم قَالَ: فِي مصحف عبد الله «حَتَّى تسلموا على أَهلهَا وتستأذنوا». وَأخرج ابْن أبي شيبَة وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر عَن عِكْرِمَة قَالَ: هِيَ فِي قِرَاءَة أبي «حَتَّى تسلموا

وتستأذنوا». وَأخرج ابْن أبي حَاتِم وَابْن الْأَنْبَارِي فِي الْمَصَاحِف عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله «حَتَّى تستأنسوا» قَالَ: حَتَّى تستأذنوا".

في "الجامع لأحكام القرآن" لشمس الدّين القرطبي، وبخصوص تفسير الآية 63 من سورة طه التي تقول: "قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى"، نقرأ: "قوله تعالى: «إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» قرأ أبو عمرو «إِنْ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ». ورويت عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة؛ وكذلك قرأ الحسن وسعيد بن جُبير وإبراهيم النخعي وغيرهم من التابعين؛ ومن القراء عيسى بن عمر وعاصم الجحدري؛ فيما ذكر النحاس. وهذه القراءة موافقة للإعراب مخالفة للمصحف. وقرأ الزهري والخليل بن أحمد والمفضل وأبان وابن محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه «إِنْ هَذَانِ» بتخفيف «إن» «لَسَاحِرَانِ» وابن كثير يشدد نون «هذانّ». وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب، ويكون معناها ما هذان إلا ساحران. وقرأ المدنيون والكوفيون «إِنَّ هَذَانِ» بتشديد «إنَّ» «لساحران» فوافقوا المصحف وخالفوا الإعراب. قال النحاس فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة عن الأئمة، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ «إِنْ هَذَانِ إِلَّا سَاحِرَانِ» وقال الكسائي في قراءة عبد الله: «إِنْ هَذَانِ سَاحِرَانِ» بغير لام؛ وقال الفراء في حرف أبي «إِنْ ذَانِ إِلَّا سَاحِرَانِ» فهذه ثلاث قراءات أخرى تحمل على التفسير لا أنها جائز أن يقرأ بها لمخالفتها المصحف.

قلت: وللعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة ستة أقوال ذكرها ابن الأنباري في آخر كتاب الرد له، والنحاس في إعرابه، والمهدوي في تفسيره، وغيرهم أدخل كلام بعضهم في بعض. وقد خطأها قوم حتى قال أبو عمرو: إني لأستحي من الله أن اقرأ «إنَّ هَذَان» وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن قوله تعالى: «لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» ثم قال: «وَالْمُقِيمِينَ» وفي المائدة «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ» [المائدة: 69] و«إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» فقالت: يا ابن أختي! هذا خطأ من الكاتب. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: في المصحف لحن وستُقيمه العرب بألسنتهم. وقال أبان بن عثمان: قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان، فقال لحن وخطأ؛ فقال له قائل: ألا تغيّروه؟ فقال: دعوه فإنه لا يحرّم حلالا ولا يحلّل حرما."

وفي نفس الكتاب للقرطبي، في تفسيره للآية 31 من سورة الرّعد والتي تقول "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد"، نقرأ: "وقرأ علي وابن عباس: «أفلم يتبيّن الذين آمنوا» من البيان. قال القشيري: وقيل لابن عباس المكتوب «أفلم ييئس» قال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس؛ أي زاد بعض الحروف حتى صار «ييئس»."

وفي "جامع البيان في تأويل القرآن" لأبي جعفر الطبري، في تفسيره لنفس الآية (الرّعد، 31) نقرأ: "حدثني يعقوب قال: حدثنا هشيم، عن

أبي إسحاق الكوفي، عن [مولى مولى بحير] أن عليًّا رضي الله عنه كان يقرأ: «أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الَّذِينَ آمنُوا». حدثنا الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الوهاب، عن هارون، عن حنظلة، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس: «أفلم ييأس» يقول: أفلم يتبيّن. حدثنا أحمد بن يوسف قال: حدثنا القاسم قال: حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن الزبير بن الخِرّيت أو يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يقرؤها: «أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الَّذِينَ آمنُوا»؛ قال: كتب الكاتب الأخرى وهو ناعسٌ."

هذا غيض من فيض الإعترافات الكثيرة التي نقلتها لنا امّهات كتب التّفسير والأحاديث عن وجود أخطاء لغويّة في القرآن. ثمّ يأتي المسلم الغارق في أساطير دينه الذي غيّب عقله وعطّل تفكيره ليتلو آيات مثل: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر، 9) أو «لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصّلت، 42) أو «لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ» (القيامة، 16-17). فكيف تكون في القرآن أخطاء إعترف بها الصّحابة والمفسّرون وفي نفس الوقت يكون محفوظا ولا يأتيه الباطل؟ ألا يصبح القرآن كلّه باطلا، بما أنّ فيه كلّ هذه الأخطاء اللغوية التي لم يستطع المفسّرون تبريرها رغم إختراعهم لتعلاّت من قبيل القول بأنّ هذا اللّفظ في "لغة القبيلة كذا أو كذا" أو نظم أبيات شعر كاذبة تتضمّن الخطأ لإيهام النّاس بأنّه صواب (وهو ما فضحه طه حسين في كتابه "في الشّعر الجاهلي")؟ وهل تسقُط كلّ ملاحظاتنا المبنيّة على قواعد اللّغة العربيّة وكلّ أدلّتنا عن جهل الصّحابة لبعض مفردات القرآن وكلّ الإعترافات الواضحة التي نقلها لنا

المفسّرون ورواة الأحاديث عن وجود عيوب كثيرة في القرآن (سواء كانت من الحفظة أو من النّسّاخ أو من كتبة الوحي أو من محمّد بن آمنة نفسه الذي كان ينسى قرآنه) لمجرّد أنّ هناك آيات في نفس الكتاب تزعم أنّه "محفوظ" ولا تبديل له؟ فهل تسقط التّهم بالإدّعاءات أم بالبراهين والحجج؟ هذه بعض حججنا وبراهيننا (ومن كتب المسلمين) على أنّ القرآن به أخطاء وأنّه محرّف وغير مبين، إلخ، فهاتوا حججكم وبراهينكم إن كنتم صادقين؟

تلاوة القرّاء والرّواة للقرآن بتصرّف

يقول كاتب القرآن في سورة الحديد: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (الآية 24).

في "الجامع لأحكام القرآن" المعروف بتفسير القرطبي وفي شرح هذه الآية، نقرأ: "وقراءة العامة {بِالْبُخْلِ} بضمّ الباء وسكون الخاء. وقرأ أنس وعبيد بن عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد وحميد وابن محيصن وحمزة والكسائي {بِالْبَخَل} بفتحتين وهي لغة الأنصار. وقرأ أبو العالية وابن السميقع {بالبَخْلِ} بفتح الباء وإسكان الخاء. وعن نصر بن عاصم {بالبُخُلِ} بضمّتين وكلها لغات مشهورة. وقد تقدّم الفرق بين البخل والشّحّ في آخر {آل عمران}. وقرأ نافع وابن عامر {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} بغير {هُوَ}. والباقون {هُوَ الْغَنِيُّ} على أن يكون فصلا. ويجوز أن يكون مبتدأ و{الْغَنِيُّ} خبره والجملة خبر إن. ومن حذفها فالأحسن أن يكون فصلا، لأن حذف الفصل أسهل من حذف المبتدأ."

وقال الطبري في "جامع البيان في تأويل القرآن" :"واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (فإِنَّ اللّهَ الغَنِيُّ) بحذف "هو" من الكلام، وكذلك ذلك في مصاحفهم بغير "هو"، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)، بإثبات هو في القراءة، وكذلك "هو" في مصاحفهم. والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب."

وفي تفسير "فتح القدير"، يقول الشّوكاني: "قرأ الجمهور: بِالْبُخْلِ بضم وَسُكُونِ الْخَاءِ. وَقَرَأَ أَنَسٌ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ وَمُجَاهِدٌ وَحُمَيْدٌ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِفَتْحَتَيْنِ، وَهِيَ لُغَةُ الْأَنْصَارِ. وقرأ أبو العالية وابن السّميقع بِفَتْحِ الْبَاءِ وَإِسْكَانِ الْخَاءِ. وَقَرَأَ نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ بِضَمِّهِمَا، وَكُلُّهَا لُغَاتٌ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ أَيْ: وَمَنْ يُعْرِضْ عن الإنفاق فإن الله غنيّ مَحْمُودٌ عِنْدَ خَلْقِهِ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ. قَرَأَ الجمهور هو الغني بإثبات ضمير الفصل. قرأ نافع وابن عامر فإن الله الغني الحميد بِحَذْفِ الضَّمِيرِ."

وفي تفسيره "معالم التّنزيل"، يقول البغوي: "قرأ أهل المدينة والشام: (فإن الله الغني) بإسقاط "هو" وكذلك هو في مصاحفهم."

وفي كتاب "المقنع في رسم مصاحف الأمصار" لأبي عمرو الدّاني، نقرأ: "وفي الحديد في مصاحف أهل الشام «وكل وعد الله الحسنى» بالرفع وفي سائر المصاحف «وكلا» بالنّصب وفيها مصاحف أهل المدينة والشام «فإنّ الله الغنيّ الحميد» بغير «هو» وفي سائر المصاحف «هو الغني» بزيادة «هو»." (المقنع في رسم مصاحف الأمصار، باب ذكر ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من الإمام بالزيادة والنقصان)

ونختم بما ورد في "كتاب المصاحف" للسّجستاني: "حدّثنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود، حدّثنا يونس بن حبيب، عن قتيبة بن مهران، حدّثنا إسماعيل بن جعفر وسليمان بن مسلم بن جمّاز الزّهري قالا: سمعنا خالد بن أياس بن صخر بن أبي الجهم يذكر أنّه قرأ مصحف عثمان بن

عفّان رضي الله عنه، فوجد فيه ممّا يُخالف مصاحف أهل المدينة إثني عشر حرفًا، منها البقرة (س 2 – آ 132) «ووصّى بها إبراهيم» بغير ألف، وفي آل عمران (س 3 – آ 133) «وسارعوا إلى مغفرة» بالواو، وفي المائد (س 5 – آ 53) «ويقولُ الذين آمنوا» بواو، وفيها أيضا (آ 54) «من يرتدّ منكم» بدال واحدة، وفي براءة (س 9 – آ 107) «والذين إتّخذوا مسجدا» بواو، وفي الكهف (س 18 – آ 36) «لأجدنّ خيرا منها منقلباً» واحد، وفي الشّعراء (س 26 – آ 217) «وتوكّل على العزيز» بالواو، وفي المؤمن (س 40 – آ 26) «أو أن يُظْهَرَ»، وفي الشّورى (س 42 – آ 30) «فبما كَسَبَتْ» بالفاء، وفي الزّخرف (س 43 – آ 71) «وفيها ما تشتهي الأنفُس» بغير هاء، وفي الحديد (س 57 – آ 24) «فإنّ الله هُو الغني الحميد» بهو، وفي الشّمس وضحاها (س 91 – آ 15) «ولا يخاف عُقباها» بالواو". (كتاب المصاحف، ج 2، باب المصاحف العثمانيّة، فصل الإمام الذي كتب منه عثمان رضي الله عنه المصاحف وهو مصحفه)

ومن يعود إلى "الرّوايات" و"القراءات" سيكتشف بسهولة إختلافات كثيرة لا يُنكره إلاّ جاهل أو منافق. وهذا جرد لما يوجد في تسعٍ من الرّوايات التي أمكنني الإطّلاع عليها بخصوص الآية 24 من سورة الحديد:

في رواية هشام عن إبن عامر: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

وفي رواية الدّوري عن الكسائي: "الَّذِينَ يَبْخلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخَلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

وفي رواية حفص عن عاصم: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

وفي رواية شُعبة عن عاصم: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

وفي رواية خلّاد عن حمزة: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخَلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

وفي رواية قالون عن نافع: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

وفي رواية ورش عن نافع: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

وفي رواية قنبل عن إبن كثير: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

وفي رواية السّوسي عن أبي عمرو: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَّ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

هل رأيتم هذا الكمّ الهائل من الإختلافات بين القرّاء في هذه الآية البسيطة وحدها؟ ثمّ يأتينا من يزعم أنّ القرآن محفوظ من طرف إله محمّد بن آمنة وأنّه لم يتغيّر ولا يتغيّر... فهل الآية 24 من سورة الحديد المكتوبة في اللّوح المحفوظ الخرافي الذي يحدّثوننا عنه فيها الضّمير "هو" أم لا؟ ومن يستطيع الجزم في هذا الأمر وهو لم ير هذا اللّوح المزعوم ولا

تفحّص المدوّن فيه ليقارنه بما لديه من رسم؟ وبما أنّه من المستحيل أن يكون هذا الضّمير موجودا وغير موجود في نفس الوقت، فسواء رجّحنا كفّة وجود الضّمير أو عدم وجوده، فهذا يعني أنّ هناك قراءات صحيحة موافقة لما هو في اللّوح المحفوظ وقراءات خاطئة لا توافق ما جاء فيه، ووجود هذه القراءات الخاطئة في حدّ ذاته ونشرها في مصاحف يتلوها المسلمون ويتعبّدون بها هو دليل على أنّ القرآن محرّف. وبما أنّه لا يمكن لأيّ شخص أن يطّلع على النّسخة الأصليّة الخرافيّة المكتوبة على اللّوح المحفوظ، فلا أحد يستطيع أن يجزم بأنّ قراءة نافع هي الصّحيحة أو أن يُثبت أنّ القراءات الأخرى خاطئة... ففي إنعدام وجود دليل واضح وملموس وفي ظلّ تعدّد الإختلافات، تُصبح كلّ المصاحف محرّفة إلى أن يأتي ما يخالف ذلك... ولن يأتي ما يخالف ذلك، بطبيعة الحال... لذلك إستنبط المسلمون خرافة الأحرف السّبعة، التي لا يعرفها أحد ولا يستطيع أن يفسّرها أو يأتي بأمثلة عنها، وخرافة القراءات السّبع، في محاولة يائسة وبائسة لتغطية الحقيقة الواضحة في إختلاف المصاحف وتناقض معانيها وكلماتها إلى درجة لا يمكن أن يتخيّلها عقل.

وقد جمعني بأحد المسلمين ذات مرّة نقاش حول هذه الآية الفضيحة من سورة الحديد، فأتى بكلّ الخرافات التي ذكرتها سابقا عن الأحرف السّبعة والقراءات وتواترها وإجماع "العلماء" على صحّتها لتبرير تصرّف القرّاء في النّصّ القرآني بالحذف أو الزّيادة في لفظ "هو"، وكانت آخر تبريراته أنّ وجود هذا اللّفظ أو عدم وجوده لا يؤثّر على الفهم ولا يشوّه المعنى أو يقلبه، وبذلك لا يمكن أن نعتبره تحريفا. لم أستغرب كثيرا من

هذا التّبرير، فالمسلم تعلّم المراوغة من شيوخه ومن قرآنه نفسه، فلا عجب أن يراوغ هو أيضا، خاصّة وأنّه "يُدافع عن كتاب ربّه"، كما يعتقد. فكان بيننا حول هذه النّقطة نقاش بدأته بالسؤال التّالي: "أنت تقول أنّ وجود اللّفظ «هو» أو عدم وجوده لا يؤثّر في المعنى. حسنا، أوافقك في هذا الأمر. لكن هل تقبلُ أن أحذف من الآية الأولى من سورة الإخلاص لفظ «قُلْ» لتُصبح الآية «هو الله أحد»؟" فأجابني: "لا يمكن أن تحذف الكلمة؟" فأجبته: "لكن المعنى لا يتغيّر. فلا فرق بين «قُل هو الله أحد» و«هو الله أحد». في الحالتين هناك شهادة بوحدانيّة ربّك. فأنا لم أجعل ربّك إثنين أو ثلاثة ولم أنفِ وحدانيّته عندما حذفت كلمة «قُلْ». ثمّ أنّ الأمر المضمّن في اللّفظ المحذوف حاصل بطبيعته بما أنّك تقرأ قرآنك. وبما أنّ القراءة في حدّ ذاتها قول فلا حاجة لنا إذن بقول «قُلْ»". فردّ عليّ قائلا: "لا يمكنك تحريف الآية..." فأجبته: "إذن، أنت تعترف بأنّ حذفي لكلمة «قُلْ» تحريف، لأنّ التّحريف يكون بالزّيادة أو بالنّقصان أو بتغيّر الرّسم أو المعنى، إلخ. إذن، كلامك هذا هو أحسن إعتراف على أنّ الآية 24 من سورة الحديد فيها تحريف. وبما أنّك لا تعرف هل لفظ «هو» موجود في اللّوح المحفوظ الوهمي الذي تؤمن به أم لا، فتهمة التّحريف تطال النّسختين، المتضمّنة للضّمير «هو» والخالية منه أيضا."

إلى اللقاء في مقالات أخرى
وتابعونا على موقع "الحوار المتمدّن"
بالضّغط على الرّابط التّالي:

http://tinyurl.com/malekahewar